الأهرام

المصدر: نيو زويك

التاريخ: ٢٣ اكتوبر ٢٠٠١

«على الأقل يمكنه أن يعيش»

خلافا للاعتقاد الشائع في إيران، فإن معظم الأفغان الذين جاءوا إلى إيران مستوعبين في مناطق مختلطة عبر البلاد

بقلم مازيار بهاري

يعتقد مزاهر أنه الرجل الأكثر حظا في العالم. فهذا الشاب الأفغاني البالغ 18 عاما جندته طالبان كجندي وقام بدوريات ليلية في قرية كوهار، القريبة من مدينة قندهار الجنوبية طيلة العامين الماضيين. ولكنه تمكن من الفرار من أفغانستان ووصل إلى إيران المجاورة منذ أسبوعين. ويقول مزاهر: "إن معظم الناس في أسرتي موتى، والذين بقوا على قيد الحياة يريدون أن يغادروا البلاد". وقد فقد مزاهر والديه وأخوين وأختا في عمليات قصف متفرقة قامت بها الفصائل المتحاربة المختلفة في بلاده طيلة الأعوام الـ 10 الماضية.

ويعتبر مزاهر - الذي لم يرد أن ينشر اسمه كاملا - واحدا من الذين وصلوا أخيرا إلى إيران من بين نحو مليوني لاجئ جاءوا إلى إيران منذ الغزو السوفييتي لأفغانستان عام 1979. (وذهب عدد مماثل إلى باكستان). ولكنه من بين القلة الذين تمكنوا من الوصول إلى إيران منذ هجمات ١١ سبتمبر على نيويورك وواشنطن، وقد أعلنت الحكومة الإيرانية مباشرة بعد أن ضربت الطائرات المختطفة البنتاغون ومركز التجارة العالمي أنها ستبعد أي لاجئ أفغاني حاول عبور الحدود. وخلال أيام أرسلت 300,000 جندي إضافي للانضمام إلى العدد الذي لم يكشف النقاب عنه من الجنود الذين يقومون بأعمال الدورية على الحدود. وأقيم العديد من مراكز الاحتجاز وتظهر يوميا نقاط تفتيش جديدة على الطرق الرئيسية عبر البلاد. ومع ذلك فإنه بالنسبة إلى مهاجرين يائسين مثل مزاهر فلا تزال هناك منافذ في الحدود البالغ طولها 560 ميلا والتي تفصل إيران عن أفغانستان. ويقول غاني، وهو أخ لمزاهر عاش في إيران منذ أن استولت طالبان على أفغانستان عام 1996: "هناك أماكن كثيرة لا توجد فيها دوريات أو أن الدوريات تمر فيها بين فترة وأخرى. لذا عليك فقط أن تنتظر ومن ثم تعبر الحدود".

وقام غاني برحلات عديدة إلى أفغانستان في الأعوام الخمس الماضية وكان هناك لحضور مراسم دفن والد زوجته يوم ١١ سبتمبر. وقرر إحضار مزاهر معه إلى إيران. ويقول غاني: "كنت أعتقد أنه سيعيش حياة مزرية، مثل الأفغان الآخرين [هنا]، لكن على الأقل يمكنه أن يعيش". وقد سار الأخوان في طريق صحراوي قليل السكان من الحدود الأفغانية إلى فارامين، وهي بلدة تقع على بعد ١١ ميلا جنوب طهران. وخلافا للحدود الجنوبية الجبلية لأفغانستان مع باكستان، فإن المنطقة هناك منبسطة، والعبور كان أسهل نظرا لأن نهر هيرماند، الذي يشكل جزءا من الحدود، قد جف بسبب الجفاف. وطبقا لما يقوله مزاهر، فإن العبور الحقيقي للحدود كان "سهلا كعبور الشارع"، لكن بقية الرحلة كانت أكثر مشقة. ويقول غاني: "ينبغي أن تعرف الطريق، وينبغي أن تكون أفغانيا يائسا لكي تمر فيها".

وبالنسبة إلى إيران، فإن توقع وصول لاجئين جدد يفرون من القصف الأمريكي ضد أفغانستان يوجد مشكلات سياسية عديدة. ونقلت وكالة الأنباء الإيرانية عن نائب وزير الصحة الإيراني محمد إسماعيل أكبري قوله إنه قلق من المشكلات الصحية التي سيوجدها تدفق اللاجئين وقال: "في أفغانستان أوبئة عديدة في الناس والدواب. وفي حال حدوث وباء فإنه سيحتاج إلى سنوات للقضاء عليه". والخوف من الأوبئة يعتبر مشكلة تضاف إلى مشكلات أخرى عديدة مثل البطالة وتهريب المخدرات والجريمة التي تعزوها السلطات الإيرانية للاجئين الأفغان في إيران.

ومع ذلك، وخلافا للاعتقاد الشائع في إيران، فإن معظم الأفغان الذين جاءوا إلى إيران مستوعبين في مناطق مختلطة عبر البلاد مع وجود أقل من 5 بالمائة يعيشون في مخيمات. وبعد وصول مزاهر إلى إيران منذ أسبوعين بدأ على الفور يعمل بصورة غير مشروعة كعامل إنشاءات في المكان نفسه الذي يعمل فيه غاني. والإنشاءات هي إحدى المهن العامة بالنسبة إلى الرجال الأفغان في إيران. ومعظم العمال الذين يعملون في الموقع جاءوا من القرية نفسه التي

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

جاء منها الأخوان. ودفع كثير منهم ما يصل إلى نحو 4,000 دولار للمهربين الذين أحضروهم من أفغانستان إلى إيران. ويتعين على العمال غير الشرعيين الاختباء عندما يزور مفتشو الحكومة الموقع. ولكن صاحب العمل الذي طلب عدم ذكر اسمه لا يريد أن يطردهم من عملهم. ويقول: "إن الأفغان يعملون بجد أكثر من الإيرانيين ويتوقعون أجرا أقل". إنه يدفع لعماله الأفغان ما يعادل ثلاثة دولارات يوميا، ولكن عليه أن يدفع للعمال الإيرانيين ثمانية دولارات كحد أدنى بالإضافة إلى التأمين.

وفي العام الماضي بدأت الحكومة الإيرانية برنامجا مشتركا مع المفوض السامي للأمم المتحدة للاجئين لإعادة أولئك الأفغان الذين لا يستطيعون تقديم أسباب معقولة بأنهم يخشون الاضطهاد في بلادهم. وفشل البرنامج بسبب سلسلة من الخلافات بين السلطات الإيرانية والمفوض السامي بشأن تحديد تعريف اللاجئين الفعليين. وقبل عدة أشهر أعلنت الحكومة الإيرانية خطة طويلة المدى لإعادة جميع المهاجرين غير الشرعيين وتغريم أو حبس الذين يوظفونهم. قبل هجمات ١١ سبتمبر وظفت وزارتا الأشغال والداخلية موظفين جددا للتعامل مع المهاجرين غير الشرعيين. ويقول صاحب العمل الذي يعمل لديه مزاهر: "لقد أصبح لدينا عدد أكثر من عمليات التفتيش، ولكن بعد بدء الهجمات لم تحدث ولا واحدة منها".

إن ادعاء طهران بأن العمال غير الشرعيين هم السبب الرئيسي للبطالة في البلاد يصعب إثبات صحته، فلا توجد دراسات عن عدد الإيرانيين الذين يرغبون في العمل في هذه المهن التي تقصم الظهر، التي يقوم بها الأفغان. ولكن ما من شك بأن البلاد تعاني تفشي تجارة المخدرات منذ أن استولت طالبان على كابول. وتعتبر أفغانستان أكبر منتج للأفيون والهيروين في العالم. وتعتبر إيران نقطة عبور رئيسية للمخدرات التي تنتج في أفغانستان. وقد قتل أكثر من 3,000 جندي إيراني في مقاومة تجار المخدرات، و85 بالمائة من الأفيون الذي يتم ضبطه في العالم هو في إيران، ومع ذلك فإن السلطات تعترف بأنهم يستطيعون فقط ضبط 15 بالمائة من المخدرات التي تأتي إلى البلاد. وقال رئيس وزراء بريطانيا توني بلير أخيرا إن طالبان يمولون حربهم بحياة الشباب والشابات البريطانيين. ولكن السلطات الإيرانية تشكو بأنه قبل ١١ سبتمبر، لم يكن يوجه إلا اهتمام قليل لمشكلة المخدرات في أفغانستان. ويقول مسؤول إيراني من مراكز ضبط المخدرات الإيرانية: "نشعر بأننا نقف وحدنا تقريبا في مكافحة المخدرات. وعلى الرغم من أن الناس في الدول الغربية هم الهدف الرئيسي لتجار المخدرات إلا أننا دفعنا الثمن الأعلى في مكافحتهم".

ويشعر الإيرانيون أيضا بأن المجتمع الدولي أدار ظهره لمشكلة اللاجئين في أفغانستان وفي الأقطار المجاورة لها. ففي السنوات الـ 10 الماضية خفضت أوروبا والولايات المتحدة بصورة حادة مساعدتهما للمنظمات التي تساعد اللاجئين الأفغان في إيران مثل المفوضية السامية للاجئين التابعة للأمم المتحدة. وفي العام الماضي كان يتعين على مكتب المفوضية في طهران أن يوقف الكثير من برامجه وتم تسريح العديد من موظفيه من أعمالهم بسبب قلة الأموال. وقال الناطق باسم المفوضية محمد نوري: "إننا نواجه قلة في أموال التبرع. وكأن مختلف الدول اعتقدت أن المشكلة الأفغانية لن تحل، ولذلك توقفوا عن تقديم المساعدة". ولكن نوري يقول إنه برز اندفاع جديد في الاهتمام بأفغانستان بعد هجمات ١١ سبتمبر، ويقول: "وأنه لمن المحزن أننا بحاجة إلى مأساة كهذه لاستعادة اهتمام العالم بأفغانستان".

وعلى الرغم من أن إيران أعلنت أنها لن تقبل عددا إضافيا من اللاجئين، إلا أنها تقوم بمساعدة عدة وكالات إغاثة دولية على إقامة خيام داخل أفغانستان. وقد علمت نيوزويك أن إيران وافقت أيضا على نقل البضائع القادمة من منظمات أمريكية وأن موقف الحكومة الأكثر تساهلا تجاه الأفغان قد يعكس شعورا عاما في الشارع الإيراني. ففي مقابلات كثيرة مع الإيرانيين العاديين يقولون إنهم يشعرون مع الأفغانيين الآن أكثر من أي وقت مضى. ويقول أحمد فارغي وهو محاسب في طهران: "كنت أراهم كمجرمين يأخذون وظائفنا، ولكن في هذه الأيام وعندما أرى وجوه الأطفال الأفغان على شاشة التلفزيون أرى فيهم أشخاصا مثلنا ولكنهم في وضع مأساوي أكثر". وبالنسبة إلى مزاهر والمليونين الآخرين من اللاجئين الأفغان في إيران فإن هذه تعتبر أخبارا سارة. ويقول مزاهر: "إنني في أفغانستان اعتدت أن أسمع أن الإيرانيين يهينونك في الشارع أو ينظرون إليك نظرة سيئة ولكن الآن فإن هناك الكثير من الناس في الباص والشارع يوقفونني ويسألونني كيف تسير الأمور في أفغانستان. وإنني أرى أنهم بالفعل مهتمون".

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية